جماليات الصوت والموسيقى التصويرية في السينما؛ الدلالة الفنية والتأثير السينمائي.

Sound aesthetics and pictorial music; Artistic significance and cinematic influence

بوزيدي محمد[1]،

[1] جامعة حسيبة بوعلي –الشلف– ، mohamedbouzidi745@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2018/11/20. تاريخ القبول: 2019/05/22 تاريخ النشر: 2019/06/01

Abstract:

This article attempts to highlight one of the important elements of the structure of the film in the form of sound and soundtrack where the filmmakers are aware of the influence function and suspense presented by voice in all its manifestations on the film in order to determine the functional function that contributes to the realization of sound and the extent to which the audience, the tracks that approach and the effects, this article primarily seeks to identify the types of sound effects and their artistic characteristics as well as the degree of reenactment of cinematoraphic work

Keywords: Sound music picture output technical dialogue

المؤلف المرسل: بوزيدي محمد، **الإيميل**: mohamedbouzidi745@yahoo.com

المقدمة:

يعتمد صناع السينما على كثير من التقنيات والآليات التي تساعدهم في إنجاح العمل السينمائي وفق الجودة والقيمة المنتظرة عند جمهور مشاهدين ، لذلك نجدهم يطورون أعمالهم من مرحلة لأخرى متأثرين بالتكنولوجيا الحديثة وما خلفته من وسائل لإبهار المشاهدين ويعد الصوت وتجلياته المختلفة في الفيلم أحد أهم التقنيات التي كان لها دور في جذب الإنتباه وتشويق المتتبعين سواء كان ذلك بحوارات الشخصيات أو الموسيقى وأنغامها المتعددة أو مختلف المؤثرات الصوتية، هذا المقال يسعى إلى تسليط الضوء على أم مظاهر تجلي الصوت في السينما وخصائصه الفنية ومدى أهميته في إثراء العرض السينمائي

المتن:

يعد الصوت عنصرا مهما في لغة التعبير السينمائي ولا يعتبر مجرد إضافة تأثير ثانوية في الطرح المرئي؛ بل هو بمثابة أحد الأركان الرئيسية التي يعتمدها صناع السينما كالتصوير وإنتاج اللقطات وتركيب المشاهد وغير ذلك من عناصر تكوين الفيلم" على الرغم من كونه عنصرا غير مرئي إلّا أن ما يثيره من صور ذهنية وتخيلية معبرة عن الصورة جعلت منه عنصرا مهما من عناصر البناء الفني للشكل في الأعمال التلفزيونية والسينمائية"[1] ، مما يعني هذا أن المخرج السينمائي لا يمكنه أن يستغني عن عنصر الصوت الذي يقدم مختلف الدلالات الفنية وبتأثيرات متفاوتة ؛ فمثلما للقطة السينمائية تعبيريتها ووقعها لدى المشاهد فكذلك التأثير الصوتي الذي يتلقاه السامع مندمجا مع الصورة السينمائية، فكيف تتجلى مظاهر الصوت أثناء التحضير لإعداد الفيلم السينمائي وما مدى تأثيراته الفنية على الجمهور؟

ونظرا لأهميته البالغة نجد أن السينما لم تستغني عن الصوت لا في عصر السينما الصامتة و لا في غيرها من العصور"و لكي نفهم تأثير الصوت يجب أن لا ننسى أن السينما الصامتة لم تكن صامتة على الإطلاق فقد احتوت الأفلام الصامتة على العديد من الإشارات لكل أنواع الأصوات التي حاولت أن تضع المتفرج في مكان المستمع أيضا، بل إن هذه الأفلام الصامتة كانت تعرض في السينما بمصاحبة موسيقى حية يؤديها عازف البيانو أو فريق كامل من الأوركسترا..."[2]ربما كان الغرض من تسميتها السينما الصامتة بسبب غياب اللغة المنطوقة و الحوارات بين الشخصيات في الفيلم أمّا الأصوات الأخرى التي تنتج عن مختلف الآلات الموسيقية فقد كانت حاضرة في السينما في عصرها الأول ،إذ أنا تبعث التأثيرات الدرامية التي تساعد على توضيح المشهد و الحدث الدرامي الذي ترويه الشخصيات، إن ثورة الصوت على السينما كان سببه أن الفيلم الصامت قد بقي جسدا بلا روح أو هو ذلك الشعور الكبير الذي أحسّه صناع السينما بعدم اكتمال النجاح في أعمالهم السينمائية ، مما جعلهم يواصلون تجارب إقحام الصوت ضرورة من ضروريات الفيلم حتى أصبح في أواخر العشرينيات جل الأفلام ناطقة سواء كان ذلك بحوارات الشخصيات أو بتلحين أحد الموسيقيين للمشهد السينمائي وقد واجه كبار الموسيقيين صعوبات جمة في تلك الفترة عندما أصبحت الموسيقى التصويرية جزءا أساسيا من مقومات الفيلم السينمائي في هوليوود[3].

لقد كانت الإنطلاقة الفعلية للصوت في مقابل صمت السينما عبارة عن ثورة إبداعية جديدة غيرت مسار السينما وتقنيات عرضها للموضوعات بطرق أكثر إبهارا ؛ والصوت بهذا الطرح قد أضعف تعبيرية الصورة وجعل الفيلم أسير الميكروفون لأن شأن الصوت كشأن ظهور الصورة الفتوغرافية والمشهد السينمائي لأول مرة لأنه أصبح واجهة الفيلم وحداثة عناصره وتقنياته التي مازالت قيد التطور ، وبفضل هذا التوظيف الواعي والمبدع للصوت فتحت آفاق جديدة أغنت تعبيرية الفيلم التي كانت تعتمد أساسا على الصورة وأحدثت متغيرات عديدة في شكل البناء الفيلمي[4] ، وهذا لا

يعني أن السينمائيين قد وضعوا جانب الإعتناء بالصورة وفنيتها التعبيرية جانبا بل كان شغلهم الشاغل تغيير وترقية المشهد السينمائي بدراسة كل عناصره التي تساعد في رفع قيمة الفيلم وجودته التي يتطلع إليها الجمهور، وها نحن نشاهد اليوم أفلاما سينمائية متعدّدة الطرح شكلا ومضمونا متأثرة بالتكنولوجيا ووسائلها الحديثة وبمختلف النظريات الفلسفية وأفلام الخيال العلمي حيث أصبحت هناك تحديات كبرى للمفهوم التقليدي للفيلم الذي كنا نشاهده سابقا ببدايته ونهايته المألوفة لدى الجميع، ولا ريب أيضا أن نجد مؤلفي الصوت والموسيقى التصويرية يبهرون مشاهديهم بحداثة هذه المقطوعات التي تخاطب وجدانهم ربما أكثر مما تفعل الصورة السينمائية ذلك، ومثلما استعانت هوليوود بكبار الروائيين لكتابة القصص والسيناريوهات لأفلامها فقد استعانت أيضا بكبار مؤلفي الموسيقى لموازاة تطور المشهد السينمائي شكلا ومضمونا حتى تزايد الوعي الشعبي بالسينما وتزايد معه الإهتمام بما يتركه التأثير الصوتي من صدى لدى المتلقي[5].

ولذلك أصبح تأليف الصوت وتشكيل مقطوعات الموسيقى التصويرية أمرا مستقلا بذاته عن صناعة الفيلم حيث يتتبع المخرجين ويختارون من هذه المؤلفات ما يخدم احتياجاتهم في الفيلم السينمائي، وقد تأثر البناء الفيلمي بعملية التحطيم التي قامت بها شبكة المعلومات وعالم الإعلان والأغاني المصورة للقواعد التقليدية للسرد الفيلمي التي أصبحت اليوم مفيدة لصانعي الأفلام، وهذا ما ساعدهم على التحرر في تطوير وتحديث شكل السرد السينمائي في تقديمه للأحداث والموضوعات من فترة لأخرى مما جعل هذا حلقات الإستمرارية في الإبداع السينمائي سائرة مع ركب الفن المعاصر وتداخلاته المتعددة[6].

وتتعدد طرق توظيف الصوت و تنقسم إلى عدّة أنواع فمنها الصوت البشري أو الحوار الذي ينطق به الممثلون أمام الكاميرا أثناء التصوير ، ومنها صوت الموسيقى التصويرية المصاحبة للفيلم والتي ترتبط أساسا بموضوع الفيلم معبرة عن حالات خاصة كاختلافها في المواضيع التراجيدية

وتنوعها عن المواضيع الكوميدية أو الرومانسية أو الاجتماعية و غيرها، أمّا النوع الثالث وهو الأهم فيها فيتمثل في كل المؤثرات الصوتية بدون استثناء وكل ما نسمعه في حياتنا[7]،مثل أصوات الرياح و الرعود و الأمطار أو أصوات القطارات و السيارات و الآلات الصناعية أو أصوات الحيوانات و غير ذلك .

1– أولا : توظيف الحوار :

– **الإستخدام الواقعي**: وهو تزامن الأصوات البشرية مع التعبيرات المرئية للشخصيات.

– **الاستخدام الاختياري**: وفيه يتم اختيار تغيير وضع أو إلغائ الصوت البشري بالنسبة للمتغيرات المرئية حسب الغرض المراد من المشهد السينمائي.

– **الاستخدام النغمي**: وهو توظيف حوار غير عادي أو بلغة غير معروفة وقد يكون حوارا بالإيماءات والإشارات[8].

2–ثانيا: توظيف المؤثرات الصوتية:

– **الاستخدام الواقعي**: وفيه يتم تصوير مشاهد سينمائية بمؤثرات صوتية ناتجة عن مصدر مرئي حقيقي لا تعديل فيه مقطوعاته أو مختلف التسجيلات الأخرى.

– **الاستخدام الإختياري**: وفيه يتم توظيف المؤثرات الصوتية لكن بعد تحضيرها مسبقا وتسجيلها بحيث يكون للمخرج حرية إقحامها متزامنة مع المشهد عن طريق تقنية المونتاج.

3– ثالثا: توظيف الموسيقى: وهذه الموسيقى سواء سجلت خصيصا للفيلم أو موجودة من قبل، تتزامن مع الصورة المرئية وهو إما أن يتم فيها تقليد الأصوات الطبيعية أو حتى الحوار؛ أو تأخذ مكان التعليق على الفيلم المرئي عادة بطريقة تهكمية، وإما تصاحب إحدى الشخصيات في الفيلم أو يمكن أن تكون بمثابة عنصر للتعبير عن مشاهد معينة تخلو من الشخصيات وتحركاتها[9].

أولا: الحوار : يعد الحوار نمطا من أنماط التعبير تتحدث به شخصيتان أو أكثر حيث يتسم حديثهم بالموضوعية والإيجاز والإفصاح، وهو طريقة الكلام التي تجعل المشاهد منتبها متابعا لما تسرده هذه الشخصيات حيث يؤدي الوظيفة الإفهامية إضافة إلى مسايرة شريط سرد وعرض المشاهد السينمائية[10]، وهنا يتجلى لنا قيمة الحوار المنطوق في الفيلم إذ لا بد من تبرير بعض الأفعال وتوضيح الأحداث التي تسايرها الشخصيات مع باقي العناصر البنائية الأخرى للفيلم ، ولا يمكن أن نتغافل عن الدور البارز للغة المنطوقة والأثر الذي تتركه في نفوس المشاهدين خاصة عند تعاطفهم مع شخصيات معينة " إن تاريخ تطور السينما كوسيلة للاتصال المرئي، يرتبط مباشرة بقدرة اللغة السينمائية على التمسك بالواقع..."[11]، وعلى هذا الأساس كان الحوار أحد الظواهر الصوتية التي طغت على السينما الصامتة إذ أصبحت الشخصيات تختزل الكثير من المشاهد على ألسنتها وساعد ذلك في التخفيف من عبء تقنيات التركيب والمونتاج ، وكمن أهمية الحوار أيضا في أنه يثري تعبيرية الصورة المرئية ويملأ فراغاتها وقد رأى بعض المتخصصين "أن الحوار الجيد ليس الذي يكتب من أجل الجمال الصوتي فحسب وإنما لكونه معبرا، يتمثل هذا النوع من الحوار فيما حسن تركيبه وسهل قوله واتضح معناه وعبر تعبيرا ملائما عن المعنى المراد به.."[12]، فإعداد النص المخصص للسينما إنما هو خطاب أدبي يحمل في طياته كل خصائص بنية الرواية، بل هو أكثر من ذلك جمع بين خصائص النص السردي الروائي وبين تقنيات اللغة السينمائية التي تفرض عليه توظيف عناصرها المرئية، وإلى جانب هذا يقدم داخل نصه الصيغة الحوارية القائمة بين الشخصيات " يعد الخطاب السينمائي واحدا من أهم نماذج الخطابات المرئية وتلعب فيه اللغة دورا رئيسيا إلى الدرجة التي تشكل معها وفي إطارها مصطلح (لغة السينما) وعلى الرغم من أن هذه اللغة تخضع للكثير من المؤثرات التي

تسهم في تكوينها وسيرورتها وتشكيل خطابها إلا أن الجانب اللساني قد يشكل العنصر الأهم في هذه اللغة"[13].

وتتلخص وظيفة الحوار في عدة استعمالات منها : تطوير قصة الفيلم وأحداثه إضافة إلى تصوير الشخصية ومحاولة خلق جو نفسي ملائم للمستمع المشاهد؛ تزويد الجمهور بالمعلومات والمعارف؛ المساعدة في تنفيذ العمل السينمائي والوصول به إلى المراحل النهائية[14] ولذلك يمكن اعتبار الحوار الدرامي أحد المقومات البنائية في الفيلم والتي يسعى من خلالها المخرج إلى مواصلة سرد إحداثه من خلال الكلام الذي يلزمه لشخصياته من أجل تصاعد وتوتر الأحداث فهو يقربنا ويعرفنا من الشخصيات وتصبح مألوفة مفهومة لدى المشاهد فيستطيع بهذا أن يكون في ذهنه رؤية عامة عن الفيلم الذي يتابع أحداثه منذ البداية.

ثانيا: الموسيقى التصويرية: تعد الألحان الموسيقية المؤلفة خصيصا للأفلام أحد المقومات الأساسية في بعث جمالية التصوير والمشاهدة في السينما، ومهما كانت التعبيرات الحوارية التي تصدر عن الشخصيات تؤدي ما عليها من وظيفة تفسيرية وإفهامية إلّا أنّ الموسيقى المصاحبة لها ولمختلف الصور المرئية تساعد في مخاطبة الجوارح الداخلية للمشاهد حيث تمنحه دلالات عديدة في التآلف مع هذه الأنغام وجذب انتباهه حسب الموقف الدرامي الذي يعرضه الفيلم "لقد أدّت الموسيقى العديد من الوظائف خلال فترة الفيلم الصامت كما لعبت دورا بالغ الأهمية في خلق حالة التواصل بين الفيلم والجمهور من خلال إسهامها في خلق الإحساس العاطفي في ما يجري من أحداث على الشاشة"[15] ، وهذا ما نلاحظه أثناء مشاهدتنا لبعض الأفلام حيث نتفاعل في بعض المشاهد مع الأنغام الموسيقية أكثر مما تعرضه الشخصيات من أفعال والعكس من ذلك إن سار شريط الفيلم يسرد الأحداث بدون أي موسيقى فإننا سنجد نوعا من النقص عملية التعبير عن الحدث بكلام الشخصيات وحواراتها.

إنّ أهمية الموسيقى التصويرية في الفيلم جعلها تستثمر كل إمكانياتها لتغني تعبيرية الصورة وذلك عبر تداخل متناغم بين لغتين لغة الفيلم ولغة الموسيقى فهي إضافة إلى مدى تأثيرها مركبة مع صور الفيلم أكثر تعبيرية لأنها ذات تأثير شديد حتى وهي مستقلة عن السينما وذلك باعتبارها فنا خاصا له خصائصه وجمهوره فهي تراود الوجدان والمشاعر الداخلية فتحرك العواطف وتبعث تأثيراتها المتعددة الأذواق" إن الموسيقى فن قائم بذاته له قواعده ومنطلقاته النظرية والتطبيقية. وقد أغنت عالم الصورة ومنحته بعدا عاطفيا وساهمت في تعميق تعبيرية مضامينه"[16]، والموسيقى التصويرية إما أن توضع خاصة بالفيلم أو يتم إعدادها من مقطوعات وأعمال موسيقية مسجلة حيث تكون ملازمة للفيلم من البداية وذلك لتهيئة المشاهد مع أحداث القصة ويعتاد على هذه المقطوعات الموسيقية ذات الدلالات التعبيرية المختلفة، ومثلما كان للحوار وظائف في شريط الفيلم كان للموسيقى التصويرية وظائف أخرى منها:

- **الإستدلال**: يمكن للموسيقى أن تدل على المكان الذي تجري فيه الأحداث فكل بلد من البلدان له أنغامه وطرق التعبير عليها بالحركات والرقص ويمكنها أيضا أن تنبئ عن نوع الفيلم كأفلام الرعب والأفلام الكوميدية وأفلام الخيال العلمي.
- **الموسيقى كخلفية للأحداث**: يمكن للموسيقى أن ترتبط بحدث أو شخصية معينة ومن خلال تكرارها تصبح أداة تأثير ممهدة لظهور تلك الشخصية فتصبح جزء من البناء الدرامي للعمل السينمائي.
- **خلق التأثير العاطفي**: الموسيقى لغة المشاعر والأحاسيس ولها تأثيرات عاطفية قوية على المشاهد ويمكنها أن ترفع من قيمة الفيلم حتى وإن لم يبلغ جودته وقيمته لدى الجمهور وحسن اختيارها وتأليفها يحقق نصف النجاح في إعداد الفيلم [17]، وعلى هذا الأساس فإنه

لا يمكن أبدا إغفال دور الموسيقى في الفيلم السينمائي لأنها تعد أحد أهم التعبيرات الصوتية وأفضلها في مخاطبة أسماع المشاهدين إضافة إلى تعبيرية الصورة المرئية.

ثالثا: المؤثرات الصوتية: تعتبر المؤثرات الصوتية من ضمن عناصر الإعداد السينمائي للفيلم إحدى أهم التقنيات، حيث تعد ذات القيمة الفنية الكبيرة و ذلك من خلال التأثير الفني والجمالي الذي تضفيه على شريط الفيلم قصد طرح مختلف التعبيرات التي يحتاجها قصة الفيلم وهي"أصوات الأشياء أو الطيور والحيوانات وهذه المؤثرات قد تكون طبيعية مثل أصوات الرياح والمطر وأمواج البحر وضجيج الشارع كما قد تكون أصواتا مصنوعة تحدث يدويا أو آليا مثل صوت إغلاق الأبواب وصليل السيوف..."[18]، تؤدي المؤثرات الصوتية وظيفة مختلفة عن الأصوات البشرية والمعزوفات الموسيقية لأنها تحاكي الواقع بكل دقته وصفاته ولا يكتسب شريط الفيلم جماليته الفنية إلّا من خلال عرض المشاهد السينمائية كأنها جزء من الواقع وتجعل المؤثرات الصوتية الجمهور يتمتع بمعايشة هذه الأجواء الدرامية كما توصل إليه معانيها التي يريد المخرج توصيلها إليهم[19]، إن الصوت على اختلاف تمظهراته في الفيلم السينمائي يساهم في بعث الفرجة المشهدية ويزيد من عملية التشويق ويجذب جمهورا عريضا من خلال خصوصية تعبيراته المندمجة مع الصورة المرئية ولذلك "ساهم الخيال المبدع لصنّاع الأعمال السينمائية والتلفزيونية من التجريب وابتكار توظيفات متنوعة للمؤثرات الصوتية في التعبير عن مختلف أوجه الحياة والمواقف والمشاعر الإنسانية في بنية الأعمال الفنية بحيث جعل من فن الصورة الفن المتفرد عن بقية الفنون الأخرى في استخدام المؤثرات الصوتية في لغته التعبيرية"[20]، ولا تقتصر وظيفتها في زيادة معنى الأشياء المصورة بل تستخدم أيضا في تصوير اشياء غير موجودة وقيمتها تكمن في أنها تقول مالا نراه وتضيف معلومات أكثر مما يمكن تخيله إذن فالمؤثرات الصوتية تحاول أن تساير جميع أجواء الفيلم

المتخيلة واختيارها في الفيلم يكون تبعا للقصة التي تسردها الأحداث لأنها تحاول أن تعطي المشاهد بديهية احتياجاته المتوقعة من الفيلم [21].

لقد وفر الصوت للفيلم قدرات إمكانية مهمة في عملية الإقناع والتفسير والشرح وحتى الإيهام، وإن كانت اختلفت مظاهره وخصائصه الفنية إلّا أنّ ذلك لم يكن إلا إضافة لإغناء وإثراء العمل السينمائي فللكلام والحوارات الشخصية للمثلين وظيفة محددة في تتمة سرد الأحداث كما للموسيقى أثر في مخاطبة المشاعر والأحاسيس، ووظيفة باقي المؤثرات الصوتية تسعى لإبراز المشهد الواقعي وجعل المشاهد داخل هذه الأجواء السينمائية.

الهوامش:

[1] عمار إبراهيم محمد الياسري، البرامج التلفزيونية تمظهرات الشكل وباءه الدرامي والدلالي، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان 2013 ص115 .

[2]جيوفري نويل سميث ،موسوعة تاريخ السينما في العالم،مج2،ت ر:أحمد يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ط 1، 2010 ، ص21 .

[3] ينظر: الحقيوي سليمان ، سحر الصورة السينمائية وخبايا صناعة الصورة، دار الراية للنشر والتوزيع ،عمان 2012 ،ص123 .

[4] ينظر: حكمت البيضاني ، جماليات وتقنيات الصوت ،أكاديمية الفنون ، وحدة إصدارت دراسات سينمائية،القاهرة، ط1 2011 ص6

[5] ينظر: الحقيوي سليمان ، سحر الصورة السينمائية وخبايا صناعة الصورة، م س ،ص126.

[6] ينظر: علاء مشذوب ، الصورة التلفزيونية، الألفة..الفرجة..التكرار، دار الأيام للنشر والتوزيع،عمان ط1 2015 ص5 .

[7] ينظر: فوزي ناجي ،أفاق الفن السينمائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م س، ص120 .

[8] ينظر: حكمت البيضاني ، المرجع السابق ص37 .

[9] ينظر: حكمت البيضاني ، المرجع نفسه ص38 .

[10] ينظر: مصطفى حميد كاظم الطائي، الفنون الإيذاعية والتلفزيونية وفلسفة الإبداع والإقناع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ط1 : 2007 ص231 .

[11] دانييل أريخون، قواعد اللغة السينمائية، تر: أحمد الحضري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1997، ص 11.

[12] مصطفى حميد كاظم الطائي، الفنون الإبداعية والتلفزيونية وفلسفة الإبداع والإقناع، م س231 .

[13] محمد صابر عبيد، ، فضاء التخيل النصي، التراث ، الشعر، السينما، عالم الكتب، الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010، ص 125.

[14] ينظر: مصطفى حميد كاظم الطائي، الفنون الإبداعية والتلفزيونية وفلسفة الإبداع والإقناع، م س234.

[15] حكمت البيضاني ، جماليات وتقنيات الصوت ،م س ص52 .

[16] حكمت البيضاني ، المرجع نفسه ص52 .

[17] ينظر : حكمت البيضاني ، المرجع نفسه ص55 .

[18] كرم شلبي: الإنتاج التلفزيوني وفنون الإخراج،دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة 2008 ص207 .

[19] ينظر: عقيل مهدي يوسف ، الوعي والإبداع الجمالي في السينما والمسرح،دار دجلة ناشرون وموزعون عمان 2012 ص134 .

[20] حكمت البيضاني ، المرجع السابق ص58 .

[21] ينظر: عمار إبراهيم محمد الياسري، البرامج التفاعلية التلفزيونية تمظهرات الشكل وبناءه الدرامي والدلالي، م س،2013 ص118 .